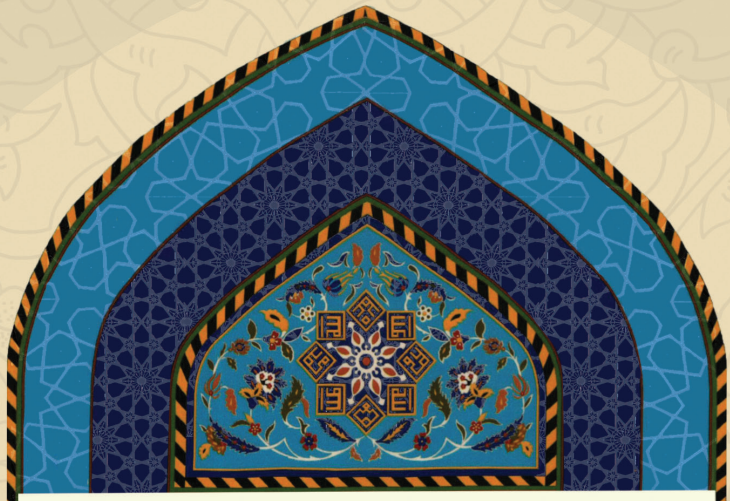

الأفضية الذهنيّة في حواريات الإمام الهادي عليه السلام
– في ضوء اللسانيات الإدراكيَّة –

Mental Space in Imam al-Hadi's (PBUH) Dialogues in light of Cognitive Linguistics

أ.د. هَادي سَعدُون هنُون العاَرضِي

جامعة الكوفة

كلية التربية الأساسية

Prof.Dr. Hadi Saadon Hanoon Al-Aridhi

Kufa University

Basic college of Education

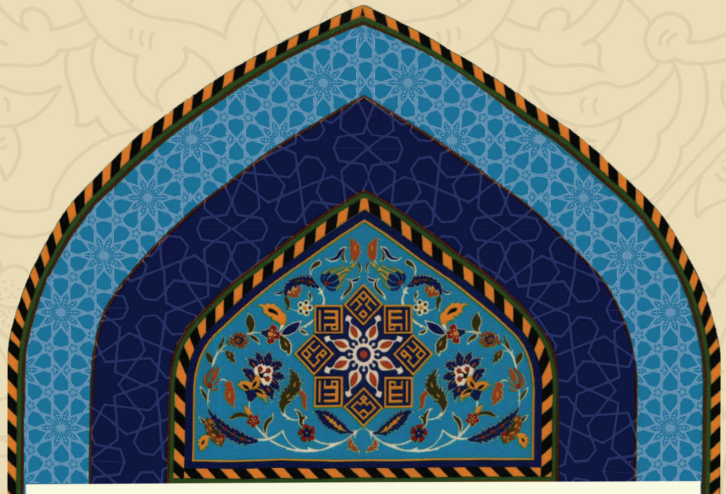

الأفضية الذهنيّة في حواريات الإمام الهادي عليه السلام
– في ضوء اللسانيات الإدراكيَّة –

الملخص:

تتحرك النظريات اللسانيّة الحديثة بسرعة متوخيَّة الدقة والحذر ؛ لتضع علما لغويا قادرا على رصد مشتركات ذات طبيعة عالميَّة، فترصد كل منها ما أنتجته سابقتها ؛ لتتمكن من تجاوز الأخطاء السابقة، ومن بين تلك اللسانيات الناشئة اللسانيَّات الإدراكيَّة التي ظهرت قويَّة بعد التحوّلات المعرفيّة الحاصلة في منتَصف القرن العشرين، وبزوُغ مجمُوعة من النَّظريَات المعرفيّة المتقدِّمة على يد علماء كبار من أمثال جورج لايكوف، ولانقاكر، تعمل تلكّ اللِّسانيَّاتُ على الربَّط بين اللَغة والتَّصور القّائم على الفِكر ؛ لأّن أصحابها يرَون اللُّغة تَعكِسُ أنماطَ التَّفكيرِ عند الإنسان، وتَعرضُ الأفكارَ وتبيّن طبيعتها، فالمتكلم في طبيعته يمتلك تصورات خاصة لكل معنى من المعاني خارج اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وللمتلقي تصورات مماثلة خاصة قائمة على خبرته وموروثه.

وعلى أساس هذه النظرية ستتبنى دراستنا الأفضية الذهنيَّة في حواريات الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمدٍ عليهما السلام الخاصة والعامة، والأفضية الذهنيَّة من دون النظريات والمقولات الأخرى للسانيات الإدراكيَة ؛ لأنه تتناسب مع طبيعة الحوار بين المتكلمين ؛ فهي تبدأ مع حركة الفكر، ورغبته في التعبير عن أفكاره بطريقة المقول ؛ ولعمق تلك المقولات تنفتح بانفتاح الخطاب، وتصورات الفكر مهما كانت جزئيتها، وتتغير الرؤية لتلك المقولات على وفق تصوراتنا عبر الأزمان، وعلى هذا الأساس سيتألف البحث من تمهيد يتضمن التعريف بالمفاهيم، والمصطلحات الخاصة بمفاتيح البحث وهي: (اللسانيات الإدراكيَّة – الأفضيَّة الذهنيَّة)، ثم يأتي المطلب الأول في الحوار الداخلي، ويقصد به حوار الإمام مع نفسه، ثم المطلب الثاني المتضمن الحوار الخارجي، ونقصد به حوار الإمام عليه السلام مع الآخرين .

الكلمات المفتاحية:

الافضية الذهنية، الإمام علي الهادي عليه السلام، الحوار الداخلي، الحوار الخارجي.

Mental Space in Imam al-Hadi's (PBUH) Dialogues in light of Cognitive Linguistics

Abstract:

Modern linguistic theories move with precision and caution to posit a linguistic landmark capable of tracking universal commonalities. Each theory monitors what its predecessor produced to overcome previous mistakes. Among those rising universal linguistic theories is the cognitive linguistics that emerged strongly in the second half of the twentieth century after the cognitive transformations. With leading scholars like George Lakoff and Langacker, those advanced cognitive theories work on demonstrating the patterns of human thinking, and present the proposition that language reflects modes of conceptualization based on cognition. In their view, the speaker inherently possesses specific conceptions of every meaning outside the spoken or written language, and the recipient has similar special conceptions based on their experience and heritage.

Depending on this theory, our study will adopt the mental spaces in Imam Al-Hadi father of Al-Hassan Ali bin Mohammed's (PBUT) general and special dialogues. Mental spaces, rather than other linguistic theories, suits the nature of dialogue between speakers. It starts with the movement of thought and its desire to express ideas verbally. Due to the depth of those propositions, it opens up with the beginning of the discourse with the perceptions of thought. However, the perspective of those propositions changes according to our perceptions over times.

Based on this idea, the study consists of an introduction that includes the key concepts definitions; cognitive linguistics and mental spaces. The first section comprises the internal dialogue, which is the Imam's (PBUH) dialogue with himself. The second section comprises the external dialogue, which is the Imam's (PBUH) dialogue with others.

key words:

mental spaces, Imam Ali Al-Hadi (PBUH), internal dialogue, and external dialogue.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المقدمة :

القراءة اللغويَّة للتراث لا تقف عند حدود منهج أو دراسة في زمنٍ ما، وإنما تتجدَّد بتجدّد التحولات المعرفيَّة للقاريء، وما يحمله من قدرات ثقافيَّة، وتاريخيَّة، ودينيَّة وسياسيَّة ...؛ لأن اللغة ظاهرة إجتماعية يوظفها المتكلّم بقصد التَّوصيل والتَّأثير، فترتبط بمقاصد المتحاورين في ظروف مقاميّة معينة، وإذا أراد المحلل فهم تلك النصوص فهمًا واعيًا فعليه التسلح بالأدوات المعرفيَّة قديمها وحديثها، وبحثنا الموسُوم: «**الأفضية الذهنيّة في حواريات مسند الإمام الهادي عليه السلام – في ضوء اللسانيات الإدراكيَّة –** سيلقي الضوء على ما جاء في مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمدٍ عليهما السلام الذي جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي من حواريات الإمام عليه السلام الخاصة والعامة، وعلى وفق النظرية اللسانيّة الإدراكيَّة التي تبحث في أنشطة الذهن المتنوعة، ولجدة الموضوع، وعلاقته الوثيقة بتلك الحواريات وما أنتجته من تصورات ذهنيّة في زمنها، والأزمان المستقبلية؛ ولسعة الموضوع فضلنا الإختصار على نظرية الأفضية الذهنية فقط من دون النظريات والمقولات الأخرى للسانيات الإدراكيَّة؛ لأنه تتناسب مع طبيعة الحوار بين المتكلمين؛ فهي تبدأ مع حركة الفكر، ورغبته في التعبير عن أفكاره بطريقة المقول؛ ولعمق تلك المقولات تنفتح بانفتاح الخطاب، وتصورات الفكر مهما كانت جزئيتها، وتتغير الرؤية لتلك المقولات على وفق تصوراتنا عبر الأزمان، وعلى هذا الأساس سيتألف البحث من تمهيد ومطلبين وعلى وفق الآتي:

ثانياً: المطلب الأول: الحوار الخارجي، ونقصد به حوار الإمام عليه السلام مع الآخرين .

ثالثاً: المطلب الثاني: الحوار الداخلي، ويقصد به حوار الإمام مع نفسه .

رابعاً: الخاتمة والنتائج .

خامساً: مصادر ومراجع الدراسة.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

أولاً: تمهيد تعريفي بالمفاهيم والمصطلحات الخاصة بمفاتيح البحث وهي: (اللسانيات الإدراكيَّة – الأفضيَّة الذهنيَّة).

تمهيد تعريفي بالمفاهيم والمصطلحات :

أوجدت اللسانيَّات بعد سوسير حراكًا عالميّا للغة، فتوجَّه العُلماء إلى البَحث والتَّقصي في علاقة اللغة بالعلُوم الأخرى، وكيفَ يمكن أَن نوظِّف تلك العلُوم؛ لبناء لُغة عالميَّة ذات مرجعيَّات موحّدة قائمَة على بنيَّة اللغة (الشَّكل)، ولعلَّ الحاسوب (اللسانيَّات الحاسوبيَّة) والطِّب (اللسانيّات العصبيَّة)، من أَهم تلك التَّوظيفات المُحاولة وضع مُرتكزات ثابتَة ذات طبيعة شكليَّة نفعيَّة، إلا أَنَّهم انصدموا بصعوبّة الربَّط الحاسُوبي على شكل رمُوز؛ لاختلاف متبنيات المتكلِّم ومزاجِه وعاطفتِه وتصوراته؛ مما أَنتج ردَّة فعلٍ قويّة لظهور نوع آخر من الاهتمام وهو النَّوع القائم على التَّصورات الذهنيَّة للإنسَان أطلقُوا عليه: اللسانيَّات الإدراكيّة «Cognitive Linguistics»، نشأَت اللسانيَّات الإدراكيَّة قويَّة بعد التحوّلات المعرفيّة الحاصلة في منتَصف القرن العشرين، وبزوغ مجمُوعة من النَّظريَات المعرفيّة المتقدِّمة، ولعلَّ أهمَّها نَظريَّة المَعلومَات (الذَّكاء الإصطناعيّ) الذي يعمَل على جَعلِ الآلة تُؤدِّي مَا يؤدّيه البّشَرُ مِن أَعْمَالٍ بتمكينها مِن مَهارةٍ ذِهنيَّة ذَكيّة لَها قُدرات الذَّكَاء التي للذهنِ البَشريّ[١]، فبدت تظهر مَع مؤلفات جورج لايكوف (نساء ونار وأشياء خطرة)، ولانقاكر في كتبه من أساسيَات القواعدِ المَعرِفيَّة، والحديث طويل في نشأتها فهي لم تكن وليدة صدفة، ويمكن العودَة لكثير من المصَادر للبحثِ عن نشأتها الأوليَّة[٢]، تهدف هذه اللِّسانيَّات دِراسَة «الذِّهن فِي جَميعِ مَظَاهِرِه»[٣]، فتقوم بوصف التَصوُّرات، والمَعَارِف، وَعَمَليَّات مُعَالجة المَعلومَات، وإعَادة صياغتهَا، وتهتم بدِراسَة المَبادِئ العَامَّة لِتنظيم القُدراتِ الإدراكيّة للإنسانِ في آليةٍ ذِهنيَّة مُوَحّدة، وتثبيت عَلاقَاتها المُتبادلة، وَتفاعُلاتهَا[٤].

(١) ابن دحمان، عمر، الإستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة، ص١٧.

(٢) ينظر: غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، ص٦١، ستيرنين، يوسف، زينايدا، بوفوفا، اللسانيات الادراكيّة، ص١٤.

(٣) أنطوفيتش، ميهايو، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ص٩٦ .

(٤) ستيرنين، يوسف، زينايدا، بوفوفا، اللسانيات الادراكية، ص١٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

عملّت تلكّ اللِّسانيَّاتُ الإدراكيَّة على الربَّط بين اللَغة والتَّصور القّائم على الفِكر؛ لأّن أصحابها يرَون اللُّغة تَعكِسُ أنماطَ التَّفكيرِ عند الإنسان، وتَعرضُ الأفكارَ وتبيّن طبيعتها، فهي: «تبحثُ في العَلاقةِ بَين الثَّقافةِ واللُّغةِ والإدراكِ،...، وتَرَى أنّ اللُّغَةَ جزءٌ مِن القُدُراتِ الإدراكيَّة الشَّامِلة لدَى الإنْسَان»[١]، فالمتكلم في طبيعته يمتلك تصورات خاصة لكل معنى من المعاني خارج اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وللمتلقي تصورات مماثلة خاصة قائمة على خبرته وموروثه، وعلى هذا الأساس يَنتج النص اللغوي ضمن بنية إدراكية متفاعلة متنوعة ومتباينة تحكمها القدرات الذهنيّة للمتكلم والمتلقي؛ لأنها مبنيّة على «إنشَاء تَصوراتٍ مُنظَّمَة وَتشكيلِها، وَقدرته على تصوّرِ مُستويَاتٍ مُتَعَدِّدَة متنوّعة تَختلِفُ فيما بينها مِن حيث درجة التَّجريد للتعبيرِ عَن الحَالاتِ والوَضعِيّاتِ بِمُختَلَفِ أنواعهَا، وَيُمكِننا كذلك أنْ نَذكرَ قدرتَه عَلى التَّأليفِ بَين أبنيةٍ بَسيطةٍ وإقامةِ عَلاقَات بينها لِتكوينِ أبنيةٍ حَركيّة أكثر تَعقيداً، وَكذلك قُدرَته عَلى تَنظيمِ نفسِ المَضمون بطرقٍ مُختلفة»[٢].

ومن النَّظريات التي تبنَّت هذه الفكرة نظريَّة الأفضية الذهنيَّة، وهي: «فضاءٌ ذهني للعناصر والعلاقات التي يتقاسمها المتكلم والمخاطَب على أنَّها أساس لتواصلهما في لحظة معيّنة أثناء جريان الخطاب» [٣]، وكذلك تعرَّف على أنَّها: «رزمٌ تصوريَّة صغيرة تنشأ حين نتكلم أو نفكّر،...، فهي تجمعات شديدة الجزيئيّة، ...، وهي مترابطة ويمكنها أنْ تتغيّر كلما انفتح الخطاب والفكر فتتكاثر في انفتاح الخطاب ويُسقَط بعضها على بعض بطرق متداخلة وتُزوَّد ببنية ذهنيّة مجرّدة لنقل وجهة النظر، والبؤرة لتتيحَ لنا أنْ نوجّه تركيزَنا في أيِّ وقتٍ إلى أيِّ أبنية شديدة الجزيئيّة، والبساطة، بينما نحتفظُ بشبكةٍ متبلورة من الترابطات في ذاكرة العمل، وفي الذاكرة بعيدة المدى»[٤]، أما موقع الحوار في بحثنا، فيأتي لما تحققه عناصر المحاورة من مجالات مفتوحة، وتأتي

(١) التميمي، جنان، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكيّة، ص١٥.

(٢) غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفانيّ، ص٣٩.

(٣) قريرة، توفيق، الاسم الاسمية في اللغة العربية مقاربة عرفانية، ص١٣.

(٤) أبغش، محمد عبد الودود، نظرية الافضية الذهنية مبادئها تطبيقاتها، ص٣٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المعتقدات من ضمنها، فيتم «تفعيلها أثناء الحوار، والتي تتميز بتنافرها أو تقاربها بين أطراف الحوار . إلا أن طرحها في النقاش يفضي إلأى بعض التقارب أو المزيد من التنافر حسبما يؤول إليه التبادل الحجاجي والقدرة الإقناعية للمتحاورين»[١]، وسنركّز كما مرَّ ذكره في بحثنا هذا على نظريَّة الأفضية الذهنيَّة في حواريَّات الإمام الهادي عليه السلام .

المطلب الأول

(الأفضيَّة الذهنيَّة في الحوار الخارجي)

من ذلك ما رواه «**ابن شهراشوب أنه: قال المتوكل لابن السكيت اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي . فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمد بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر، فاتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فاتاهم من ابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمدا بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم، فقال ابن السكيت: فما الحجة الآن؟ قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذَّب**»[٢].

البحث عن الأفضيَّة الذهنيَّة في هذه الحواريَّة واسع ومعمَّق يمكن أن يستغرق البّحث المخصَّص في صحائفه المحدَّدة كلها في هذا المؤتمر، وهذا يدعونا لحث الباحثين والمختصين في مجال اللسانيَّات تسليط الضَّوء على هذه النَّصوص ودراستها بتفصيل وتوسّع أكبر مما في صحائِف بحثٍ مختصر؛ لذلك سنختصر التَّحليل في هذا المطلب على مثال واحد؛ لما فيه من غزارة الأبنيّة، وما يحتاجه من عمق في التَّحليل .

عرض السَّائل: ابن السكيت أربعة أسئلة تحتكم لفضاءِ ذهني أَساس (واقعي) يطلق عليه في نظريَّة الأبنية الذهنيَّة عدَّة

(١) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقيَّة في اللسانيات التداوليَّة –، ص١٠.

(٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، ص٢٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

تسميات منها الفضاء القادح، ويطلق عليه فوكوني[١] (الفضَاء الأَب)، ويمثل عنده «الفضاءَ الأوّل، أو الفضاء الأَساس، يُفَرّخ تفريخاً أحاديّاً أو متعدداً كما هو الشأن في الطَّبيعة فيكون الحاصل شبكة من الأفضية ذات شكل متعرّش»[٢].

اللسانيَّات الإدراكيَّة تضع في متبنياتها الخطاب في مكوناته اللغويَّة، وغير اللغويَّة، والحوار الذي بين أيدينا يتألف من مجمُوعة من الأفضيَّة الذهنيّة، أولها: الفضاء الأَساس الذي حاول إيصاله المتوكل إلى ابن السكيت وهو: (المسألة العوصاء)، والذي يفضي بدوره إلى الهدف، وهو (تعجيز الإمام الهادي عليه السلام أَمام الجمهُور)، وهذا ما جعل ابن السكيت يعمَد لبث مجموعة من الأبنيَّة الرّافدة لهذه الفكرة، والتَّوجه لخطاطة[٣]

القوة في القرآن الكريم، فساقاها بطريقة السؤال المتمثل فيما بناه فعل القول: «**فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمد بالقرآن والسيف ؟**»، فتولَّد لدينا زخم من الأفضية الذهنيَّة المستمدة من القرآن الكريم؛ لأنه يرى الإنطلاقة الحقيقيَة لعوص ما يهدف إليه المتوكل فقد أعجز القرآن الكريم العرب منذ نزوله، وتحدّاهم من الإتيان بمثله، وعلى وفق ذلك تشكل عندنا الفضاء الأول عن طريق الاستفهام، فأثاره المقول في هذه الأسئلة الأربعة، واشطر في كلٍ منها أبنيَّة ذهنيّة متشعبة يطلق عليها أبنية ذهنيَّة (ثانويَّة) تعمل لإيضاح الفكرة وتوسيعها في الذهن، ففضاء الاستفهام بنى لنا فضاءً ذهنيًا واقعيًا حقيقيًا ومفقودًا في الوقت نفسه في ذهن السَّائل، فكل الأسئلة تشير لتصورات ذهنيَّة واقعيَّة يدركها المتكلّم والمتلقي، ولكن هذه الحقيقة تمثل في

(١) هو لساني فرنسيّ ينتمي إلى الجيل الثاني من اللسانيين الإدراكيين من أمثال لانقاكر، ولايكوف من أشهر كتبه في هذا المجال (الأفضية الذهنية مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية) ينظر في ترجمته: المجدوب، عز الدين، مختارات معرَّبة، ج١، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٢) الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص٢٠٩.

(٣) الخطاطة: مصطلح لساني إدراكي يقصد به الشبكة التَّصوريَّة التي تنظم النشاطات الجسدية، والمعارف الذهنيَّة، فتجمع بين تجريدية العقل وماديَّة الحس إستنبطه الإدراكيون من الفيلسوف كانط الذي يرى أن العقل مؤلف من ملكة الحس، والخيال، والفهم، ينظر: الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص١٦٢، البو عمراني، محمد صالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص٩١.

الوقت نفسه واقعًا مفقودًا عند المتوكل بدلالة قول المتوكل لابن السَّكيت: (**اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي**)، وهذا ما نستنتجه من المقام؛ لأن الاستفهام شكَّل مع روابطه السياقية فتحًا للمعنى؛ لأن «الوصل ما بين المجالات والأفضية، وتضمن الروابطُ استمرار الإحالة على نمطٍ واحدٍ مستقيم خلال الخطاب وتضمن خاصيّة توزّع المعلومات بشكل يحقق الفهم...، وتنبني الأفضية الذهنيَّة وتترابط في ضوء القيود النَّحوية والسِّياقيّة والمقاميَّة والثَّقافيَّة»[١]، وعلى وفق ذلك بقي لدينا الفضاء الأساس مفتوحا لفضاءات تصوريَّة، ومعرفيَّة أخرى مقابلة، تتمثل هذه الفضاءات في أبنية ثانويَّة يمكن حصرها في إجابات الإمام عليه السلام التي عملت على خلق مبدأ لساني إدراكي جديد نطلق عليه: (مبدأ الاهتداء)، يقوم هذا المبدأ على أساس القبليات المعرفيَّة الواقعيَّة للمتكلِّم، وربطها بتصورات المتلقي إذ «يدخل اعتقاد المتلقي بوصفه عنصرًا محوريًا في العمليَّة التواصليَّة، فيراعي المتكلِّم في المقام الذي هو فيه المتلقي»[٢]، فجاء تعميق هذا المبدأ في ذهن المخاطب (السَّائل على مر العصور)؛ لذلك حضرت أبنية ذهنيَّة واقعيَّة متناسقة، ومترابطة مع أبنية الاستفهام السابقة حالّة، ومجيبة لجميع تعقيداته الفكريَّة بتصورات ذهنيَّة واقعيّة حضرت في مخيلة المخاطب من دون أن يفصح عن مدونتها المعرفيَّة الخاصَّة (القرآن الكريم)، ولعل كل إجابة أو كل مقولة للإمام عليه السلام ترتبط بصلة فكريَّة راسخة في أذهان المخاطبين (**من حضر المجلس**) حتى ولو لم يفصح عنها لفظياً، فلو أخذنا المقول الأول: لِمَ بعث الله موسى بالعصا؟ وهو البناء الأساس الواقعي(القادح الأول) لوجدنا أن الاهتداء حصل في مقول الإمام عليه السلام بالتصور الذهني الواقعي: (**بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر**)، هذا البناء الذهني الأساس مستمد من تصورات المتحاورين، والمعرفة القبليَّة ضمن الإطار الخاص، والتأطير في الأفضيَّة الذهنيَّة مصطلح: «يعني بنية ضروريَّة في الذاكرة السمانطيقية، ويمثلُ جزءاً من

(١) الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص٢٠٨.

(٢) العارضي، هادي سعدون هنون، مقام المتكلم في القرآن الكريم – دراسة تداوليَّة –، ص٣٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

معرفتنا بالعالم»[١]، فيهدف التأطير بطبيعته التداوليَّة اللسانيَّة إلى مجموعة من الأهداف يسوقها المتكلم بما يعزز، ويسرع من عمليَّة التواصل بين المتحاورين؛ لأنه يمد مجال التجربة التي يطرحها المتكلِّم ببعض الأقوال المساهمة (السّياق الخارجي) في توضيح مضمون القول الحواري[٢]، وبهذا الإطار يتعمق مبدأ الاهتداء عند المخاطب بالعودة المتخيَّلة والإحالة لقوله تعالى: «**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**»[٣]

وهذا ما سار عليه الإطار في المقول الثَّاني: (**لِمَ بعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى**) في أبنيته الذهنيّة المتخيَّلة الحاضرة في مخيلة المتحاورين، ويمكن أن نتصورها نحن أيضا في فضاء ذهني موحد في قوله تعالى: «**إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي**»[٤]

وتحضى الأبنية الذهنيَّة في مقولها الواقعي الثَّالث: (**لِمَ بعث محمد بالقرآن والسيف ؟**) بعدًا تصويريًا أعمق؛ لأن المقول في أبنيته الذهنيَّة ينفتح على أبعاد واقعيَّة يتخيلها المخاطب بعدما يستعيدها من متخيلته الدينيَّة، والتأريخيَّة المرتبطة بجزءيتين، الأُولى: في القرآن الكريم عندما تحدى العرب بأن يأتوا بسورة، ومن ثم بآية، في تمثلات قوله تعالى: «**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**»[٥]، وقوله تعالى: «**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ**

(١) دايك، فان، النَّص والسّياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص٢١٩.

(٢) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقيَّة في اللسانيات التداوليَّة –، ص٥٧.

(٣) سورة طه، الآية ٦– ٧٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية٢٣.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»[١]، وقوله تعالى: «**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**»[٢]، وهذا الفضاء الذهني يرتبط بقوله تعالى: «**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**»[٣]، وغيرها من الآيات[٤]، هذا التحدي لا يثبت منطقيا إن لم يكن العرب أصحاب لغة؛ لذلك جاءت الأبنية الذهنيَّة مترابطة ومتراصة يسند بعضها بعضا في قوله عليه السلام: «**وبعث محمدا بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم**»، وفي المقول علاقة ربط بين السؤال والجواب، فكلاهما يستمدان أبنيتهما الذهنيَّة من القرآن الكريم؛ «لأنه خطاب إلهي مطلق، ذو سلطة قدسيَّة إستعلائيَّة خاصة رحمة للعالمين، وهو خطاب التكليف والتشريع، ونظام القول المؤثر في الآخرين، وإقناعهم بوصفه نظاما للتفاعل، والفعل المتبادل بين أطراف العمليَّة التواصلية»[٥].

والحق في المثال زخم من الأفضيّة الذهنيّة يطول التحليل فيها، وفي مستوياتها البنائيَّة الصغرى؛ لذلك يصعب علينا الوقوف عندها جميعا، لما فيها من غزارة في تلك الأبنية، فلو عمقنا البحث في كل الأفضيّة وتجلياتها التصورية لاحتجنا إلى صحائف كثيرة؛ لذلك سنقف عند المقول الأخير، ونتابع تلك الملازمة التأطيريَّة بين (القرآن) و(السيف)، وتجلياتها التصورية في :(**السَّيف – السَّيف القاهر – وبهر سيفهم**)، فالقرآن الكريم بناء ذهني يشكل قوة تأثيريَّة راجحة، وفاعلة في المقول؛ لأنه: «يستمد سلطته من الجهة الصادرة عنها، ومن طبيعة الخطاب نفسها، ومن قدرته الشموليَّة الكليَّة على صوغ مجاله وقوانينه واحتواء المتكلمين له، ومن إرتباطه بمصادر قوته كالمؤسَّسات الدينيَّة أو المؤسَّسات الاجتماعيَّة التي تمتلك قوَّة مؤثّرة في أفعال الآخرين، وتصرفاتهم، ومن سلطة اللغة التي يتماهى بها ويتبادل معها السّلطة بوصفها الفاعل الرئيس في

(١) سورة الإسراء، الآية٨٨.

(٢) سورة هود، الآية ١٣ – ١٤.

(٣) سورةالزخرف، الآية ٣.

(٤) سورة يوسف، الآية٢، سورة الشعراء، الآية ١٩٥، سورة القصص، الآية ٤٩، سورة الطور، الآية ٣٤.

(٥) عبود، صفية موسى، الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفيَّة، ص١٩٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الخطاب وإحدى أهم آلياته في فرض هيمنته على متكلمي هذه اللغة»[١]، ولكن الإمام الهادي عليه السلام وضع خطاطة ملازمة له في مقوله وهي: (السَّيف)، وهو تصور مادي، ومن المؤكد أنه لا يقصد السَّيف المجرد بحقيقته الماديَّة؛ لذلك فتح الإمام عليه السلام باب التَّصورات الذهنيّة من أَجل التَّدبر في الوصول إلى حقيقة يضمرها المتلقي أَو يتجاهلها، وفي جميع الحالات سينجز فعلا ما، إلى عملٍ غير مرتبط بالقول، فعمل على تغيير الشَّكل التعبيري للجملة[٢].

هذه الحيويَّة، والمرونة ستمتد بأفق تصورات جديدة، وأبنية ذهنيَّة متخيلة، وراسخة في أذهان المتحاورين التأريخيَّة التي تفتح أفضيَّة ذهنيَّة جديدة أو موروثة، ومخزونة في ذهن المتكلِّم تُستمد من عالم التجربة والخلفيَّة المعرفيّة[٣]، ولعل تصور سيف جدَّه الإمام علي عليه السلام هو الفضاء الذهني الراجح (الهدف) في هذه المقولة التي إستعادت حضور أفضيّة ذهنية متلازمة في أطر تركيبيّة، ومقاميَّة محكمة في الحوار، فعمل العطف المتمثل بالواو في بنيَّة الحوار على إشراك طرفي العطف بحركة ترابطيَّة لا تختصر على البناء الشكلي، وإنما دخلت في تعميق المعنى، ورسم ملامحه الإدراكيَّة عند المتلقي، فتلك الأبنيَّة الذهنيَّة تتضمن مجموعة من العلميات العقليَّة الناتجة من طبيعة تفكير الإنسان، فتنتج تلك العمليَّة العقليَّة الذهنيَّة أبواباً تَصنيفيّة يُلحِقهَا فيما بعد بالواقع الذي أدركَهُ واستوعبَهُ[٤].

تقُودُنَا تلك الأفضيَّة الذهنيَّة المنفتحة؛ لإدراك مجموعة من الحقائق من حولنا، وفهمها بعمق التَّصورات المنتجة الراسخة في المخزون المعرفي للمتحاورين، فتعود بهم لشجاعة علي عليه السلام في أحاديث نبويّة شريفة من بينها قول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «لأعطيَنَّ اللواء غدًا رجُلًا يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر؛ فدعا عليًا عليه السلام وهو أرمد، فتفل في عينيه، وأعطاه اللواء؛ ونهض معه

(١) عبود، صفية موسى، الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفيَّة، ص٢٠٩.

(٢) ينظر: ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص٩٣، الحباشة، صابر، مسارات المعرفة والدلالة، ص١٤٨- ١٤٩.

(٣) ينظر: الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنيَّة، ص٢٠٩.

(٤) ستيرنين، يوسف، بوبوفا، زينايدا، اللسانيات الإدراكية، ص١٣٦.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

من الناس من نهض قال: فلقي أهل خيبر؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَد علِمَت خيبر من أنّي مرحبُ

شاكي السِّلاح بَطَلٌ مجرَّبُ

أطعنُ أحيانًا وحينًا أَضرِبُ

إذا الليوث أقبلَت تَلَهَّب

فاختلف هو وعليُ ضربتين؛ فضربه عليٌ على هامته؛ حتى عضَّ السيف منها بأضراسه؛ وسمع أهل العسكر صوت ضربته»[١].

ولعلَّ ما نجده في ثبات تاريخية المال والسيف المقترنين بخديجة وعلي عليهما السلام، والإسلام في بداياته الأولى أول فضاء ذهني ينفتح عليه الفكر، بعد أن ترسخ في أذهانهم واقعة بدر، وأحد، ومعارك الخندق، وكانت مفترق طرق بين ثبات الإيمان أَمام الشّرك، وهذا ما يمكن أن تتبناه تصوراتنا للحديث النبوي الشريف الذي يرويه جمهور المسلمين عندما برز الإمام علي عليه السلام إلى عمرو بن ود العامري في الخندق، بعدما تحدى المسلمين وأعجزهم، فقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه»[٢]، والتَّصورات الذهنيَّة لا تقف عند هذه الحدود بل تتجاوزها إلى ذلك الفتى الشجاع الذي فدى الرسول عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام بنفسه بعدما أَجمع كفَّار قريش على قتله[٣]، وحُزم الأفضيَّة الذهنيَّة ممتدة بإدراك المتكلم والمتلقي لقبليَّات المقول، وتشعباته التصوريَّة .

فتلك التَّصورات الذهنيَّة تقع ضمن ما يُعرف في اللسانيَّات الإدراكيَّة، (الأنموذج الإدراكيّ المؤمثل)، يقوم هذا الأنموذج على المثاليَّة غير الماديَّة؛ لذلك «ينشأُ في الذِّهنِ عن طريق تجميع خصائص، وسِمات أُنموذجيّة لا يمكنُ أنْ تتَحَقَّقَ مُجتمعةً في عُنصر حقيقيّ واحد، فهو الأفضل للفِئَة التي يُمثلُها؛ لذا يعمل الذِّهنَ البَشريّ على مُقابلة سمات العُنصر المادِّي المَوجود في الواقع بمَا يَتجذَّرُ في تصوّرِهِ مِن سِمَاتٍ وَخصَائِصَ مِثاليَّة لذلك العُنصر، فتكونُ دَرَجَة مِثاليَّة العُنصر على وِفق تَحقيقِهِ لأعلى دَرجاتِ التَّوافَق بَين العَنصرِ المَادِّي فِي الواقعِ، وبين العُنصرِ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج٣، ص١٢، وينظر: اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٦.

(٢) إبراهيم، محمد أبو الفضل، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٣، ص٢٦٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج٢، ص٣٧٢ .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المِثاليّ في الواقعِ الذِّهنيّ المُتَجذِّر، وَعَلى وِفقِ القِراءاتِ السَّابقة فإنَّ لعمليةِ تصنيفِ المَعلوماتِ في الذِّهنِ أهميةً في تحصيلِ التَّواصُلِ والإدراك»[١].

فعرض المتكلّم في إطار مقولاته الحواريَّة: «**السَّيف – السَّيف القاهر – وبهر سيفهم**)، ليعمق فكرته المؤكدة لفضاء ذهني رابع مرتبط بمعجزة السيف التي عُرف بها جدّه علي بن أبي طالب عليهما السلام أكثر من غيره، لأن اللسانيات الإدراكيَّة ترى أن (الإطار)[٢]هو من يشير إلى ذلك، ويعمقه؛ لأننا «نفهم كل لفظ في ضوء إطار عام يُعّد هذا اللفظ جزءا منه، وبدون هذا الإطار لا يمكن فهم معنى اللفظ، حيث هناك منظومة ذهنيَّة ترتبط بدلالة اللفظ . إن هذا يعني بأن كل لفظ يفهم في ضوء إطار أشمل يسهم في تحديد دلالة اللفظ، فمثلا لفظ (الدواء) يفهم في ضوء إطار (الصحة والمرض)، ولفظ (سلعة) يفهم في إطار (عملية البيع والشراء) ومن المستحيل حسب اللسانيَّات الإدراكيّة تصور معنى اللفظ دون إطاره الإدراكي»[٣]، فإطار السيف الوارد في حواريته عليه السلام عزّز المعنى المراد في تصوراته الذهنية، وربط المخاطبين بتلك التصورات عبر الأزمان، فنجد هذا الفضاء الذهني المتخيل يتجدد بتجدد الأزمان، فقد وصل حد إستقلاله بمؤلف يتقاسمه (سيف علي عليه السلام) و(مال خديجة رضي الله عنها) تحت مسمى: «مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام»[٤].

نستنتج مما تقدم أن الحواريَّة على ما فيها من قدم زماني، ومنعطف فكري مخالف لرؤى المتحاورين (المتوكل – ابن السكيت – الحضور في المجلس) منحت شخصيَّة الإمام الهادي عليه السلام هيمنة العقل، والتَّدبر، والفطنة، والتَّأثير في المخاطبين بعدما أعطى أَجوبة دامغة تستند لأدلة قرآنيَّة راسخة، بعدما أطر تلك الأدلة

(١) النصراوي، جنان تكليف علي، التقابلات الوجدانيّة في القرآن الكريم بين الفضاءات الذهنية ونظريّة الصلة، ص٣٩.

(٢) الإطار هو مصطلح لساني إدراكي يقود عملية الإسقاط ما بين الأفضية ولذلك تكون العناصرُ الفَاعلة في تصوّر المجال الجديد وتمثله موروثة من مجال أو مجالات سابقة أو مُستمدّة من عالم التجربة والخلفيَّة المعرفيّة، للتوسع ينظر: دايك، فان، النص والسياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداولي، ص٢١٩، وينظر: الزنّاد، الأزهر، نظريات لسانيّة عرفنيّة، ص٢٠٩

(٣) التركي، إبراهيم بن منصور، دراسات في البلاغة الإدراكيَّة، ص١٥ – ١٦.

(٤) حجازي، محمد أحمد، مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام، ص٣٨٠.

مجلة تراث شناور
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

بأطر معرفيَّة حاكت أذهان المخاطبين وتصوراتهم الذهنيّة، فرسمت أفضية ذهنيّة واقعيّة متمثلة في (**فضاء معجزة السّحر**) والقائم على شخصيَّة موسى عليه السلام، و(**فضاء معجزة الشّفاء**)، والقائم على شخصيَّة النبي عيسى عليه السلام، و(**فضاء معجزة القرآن**)، والقائم على شخصيَّة النبي محمد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام، و(**فضاء معجزة السَّيف**)، والقائم على شخصيَّة الإمام علي عليه السلام .

ويفتح فعل القول في نهاية المحاورة في قوله: (**فما الحجة الآن ؟**) فضاءً استفهاميًا ذهنيًا جديدًا، يستند على الفضاء المركزي الأول في الأطر الأولى للحوار، والقائمة على أساس الهدف القادح (تعجيز الإمام عليه السلام)، فيولِد هذا البناء تصورات جديدة لدى المتلقي للبحث عن روابط فاحصة للهدف، فيأتي البناء الذهني في الإجابة (**العقل**)؛ ليفتح فضاءً ذهنيًا آخر يقوم على أساس معطيات المعرفة العقليَّة التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان للتمييز بين الكاذب، وهو (فضاء جديد)، و(غير الكاذب) وهو أيضا فضاء تصوري جديد.

المطلب الثاني

(الأفضيَّة الذهنيَّة في الحوار الداخلي)

يحقق الحوار بطبيعته البنائيَّة سمة تواصليَّة إبلاغيَّة، فبه نشخص أبعاد الشَّخصيَّات الثقافيَّة والدينيَّة والعلميَّة، فينتج المعنى بعد صراعات التّصور المفتوحة بين المتحاورين؛ ليؤسّس فضاءات ذهنيَّة أساسيَّة حقيقيَّة وافتراضات غير ماديَّة يستشفها المتلقي من المقولات المحوريَّة، فتمنحه هذه الأفضيَّة الذهنيَّة فهم وإدراك المعنى بعد عمليَّة التَّفاعل تلك، «حيث يقوم هذا التفاعل بين المشاركين فيما بينهم من جهة والمشاركين والمتبعين من جهة ثانية، ولا يعني التفاعل حصول الإقناع ولكن الإشراك في الإهتمامات وإدراك الأنساق التأويلية والتقويمية والتفاعل معها . مما يطرح البحث في الميكانيزمات التي تمكن الحوار من تحقيق التفاعل بين أطرافه»[1]، وعلى هذا الأساس جاءت موضعيّة، ومهمة الحوار في بحثنا .

والحوار في مسند الإمام عليه السلام جاء بنوعين: الحوار الخارجي، وهذا ما عرضناه

---

(١) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي–دراسة تطبيقيَّة في اللسانيات التداوليَّة–، ص١٠.

في المطلب الأول، والحوار الداخلي الذي يحاور فيه الإمام عليه السلام نفسه وربه الكريم على ما أصابه من ظلم وتسلّط، هذا النَّوع من الحوار الداخلي للإمام عليه السلام نجده واضحًا في الدّعاء، والحكَم، والمواعظ، ومنه ما جاء في قوله عليه السلام: «**من اتَّقى الله يُتقَّى، ومن أطاع الله يطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين . ومن أسخط الخالق فليتيقن أن يحل به سخط المخلوقين**»[1].

تعطي اللسانيَّات الإدراكيَّة علاقات الرَّبط المعرفي الجامع بين الفكر واللغة أولويَّة في تحقيق الإدراك للمعنى المراد في تصورات المتخاطبين، وبنيت الأفضية الذهنية في النَّص الذي بين أيدينا بأدوات شرط عملت على بناء أفضيّة ذهنيَّة متنوعة، وهي: (**فضاء التقوى**)، و(**فضاء الطاعة**)، و(**فضاء السخط**)، وفي كل من هذه الفضاءات نلحظ بناءين ذهنيين، ففي قوله عليه السلام: (**من اتَّقى الله يُتَّقى**)، فتح لنا الفضاء الأب، وهو الفضاء الأول، والذي يشمل، ويضم في تصوراتنا الذهنيَّة (كل من اتقى من الناس)، فأعطى الشرط خصوصيّة لمعنى التقوى في تطبيقاتها المعرفيَّة الشائعة في تصورات المتكلم، وهذا يفضي للمتلقي إلى فضاء ذهني متصور فرضي مقابل يقوم على أساس (يتقى)، وأعطى البناء للمجهول في الجملة تصور زمني ممتد مع الزمن، حدوده مرتبطة بالفضاء الذهني الأول (التّقوى) فيوجد بوجوده، ويغيب بغيابه، وهذا ما أنتجه أسلوب الشَّرط في الجملة اللاحقة في قوله عليه السلام: «**ومن أطاع الله يُطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين**)، الذي أوجد لنا بناءين ذهنيين، البناء الأب وهو البناء الأول القائم على (فضاء طاعة الخالق)، وهو مرتبط فرضياً مع بناء ذهني إدراكي إحالي ثانوي، وإن لم يصرح به للمتلقي يقوم على أساس (طاعة المخلوق)، وهذا الاهتداء أوصلنا إليه الفضاء الذهني الأول، فهو مرتبط به ذهنيا عن طريق القادح (طاعة الخالق) .

ومن يمعن النظر في الأفضيّة الذهنيَّة السابقة يجدها قائمة على خطاطة التَّوازن، وقد عرَّفنا في ما سبق من بحثنا الخطاطة، أما التوازن في الأبنيَّة فقد بني على أساس تصورات ذهنية متساوية، ومتوازنة في كل منها؛ فهي مرتبطة بنقطة مركزية واحدة، ففي قوله عليه السلام: (**من اتَّقى الله يُتَّقى**) خطاطة متوازنة، مرتبطة بنقطة مركزيَّة هي: (التَّقوى)، وهي البنيَّة التصوّريَّة

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، ص٣٠٠.

مجلة تراث شناوة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

العامة أو (البنيَّة العليا)[١] في المقول، وهذه البنيَّة التصوريَّة العليا مبنيَّة على فضاءين أساسين متوازنين هما: (الإنسان الذي يتقي الله) و(الإنسان الذي يتقي الناس)، ولو أطلقنا على الفضاء الذهني الأول: (أ)، والثاني (ب) لكانت النتيجة متوازنة في كل منهما، فلو قدمنا (ب) على (أ) لما تغيرت النتيجة أو البنيَّة التصورية العليا في المقول، فالتقوى الجامع بين الفضاءين .

والأمر لا يختلف في الفضاء الذهني اللاحق في قوله عليه السلام: «**ومن أطاع الله يُطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين**»، فالمقول مرتبط بنقطة مركزية هي: (**طاعة الله سبحانه وتعالى**)، وهي تمثل البنية التصوّرية العليا إلا أن كل منها مبني على أفضيّة ذهنيّة أساسية أولى، وأبنية تصورية ثانوية، ولكنها في جميعها تصب في البنية العليا للمقول وهي (طاعة الله)، ففي قوله: (**ومن أطاع الله يطاع**) الأفضية الذهنيّة الآتية :

(أ) – فضاء أول أساس: (الإنسان المطيع لله)، ويقابله فضاء ذهني تصوري ثانوي يتمثل في: (الإنسان غير المطيع لله).

(ب) – فضاء ثان أساس (إنسان يطيعه الناس)، ويقابله فضاء ذهني تصوري ثانوي يتمثل في: (إنسان لا يطيعه الناس)

هذه الأفضيَّة الذهنيَّة في مجملها تشكل نتيجة متوازنة، تعود مركزيتها إلى (طاعة الله)، حقق فيها أسلوب الشرط الفاعلية المنتجة لبناء تلك التصورات الذهنيَّة، فلو إستبدلنا فضاء المقول (ب) بفضاء المقول (أ) لبقي المقول في توازن، ويطلق على هذا النوع من التوازن (التَّعدية)، وفيه تكون (أ) توازن (ب) في المقولات، فنتلمس آثارها في مما رساتنا العقدَّية، والأخلاقيَّة، والعاطفيَّة، والقضائية[٢].

ومن ذلك الحوار الداخلي ما ورد في الدّعاء قوله عليه السلام: «**اللّهم لك الحمد في السَّراء والضَّراء، والشّدّة والرخاء، والعافية والبلاء، والسنين والدهور، ولك الحمد على آلائك ونعمائك عليَّ وعندي،**

---

(١) مصطلح لساني إدراكي يقصد به النوع المحدد للنظام الكلي للنص، ويتألف من مجموعة من المقولات تركز إمكانتها التأليفيَّة على قواعد إدراكيَّة معرفيَّة، ينظر: دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون١، ص٢١٢.

(٢) البو عمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص٩٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

وعلى ما أوليتني وأبليتني وعافيتني، ورزقتني وأعطيتني، وفضلتني وشرفتني وكرمتني، وهديتني لدينك حمدا لا يبلغه وصف ولا واصف ...»[1].

من يعود لقراءة الدعاء المتولد عن طريق الحوار الداخلي في النَّص يجد شيوعًا واسعًا لأفضيّة ذهنيَّة متشعبة، وفي الوقت نفسه يكتشف أن هناك فضاء أساس يربط جميع تلك الأفضيّة، ويُفعَّل عن طريقه التصورات الذهنيَّة عند المتلقي (البنيَّة التصورية العليا) هذا الفضاء الذهني يتمثل في (**فضاء الحمد**)، فهو بناء ذهني حقيقي وأساس، يستوجب حضور أبنية أخرى ثانوية تمثلت في تلك الثنائيات الموظفة بشكل مؤثر ومن بينها: (**السَّراء والضَّراء**)، و(**الشِّدة والرَّخاء**)، و(**العافيَّة والبلاء**)، ولكل منها فضاءين ذهنيين متقابلين، وعلى وفق الآتي :

(أ) – فضاء أول أساس: (السَّراء)، ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في: (الضَّراء)

(ب) – فضاء ثان أساس (الشِّدة)، ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في: (الرَّخاء)

(ج) – فضاء ثالث أساس (العافية)، ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في: (البَلاء)

ولو أخذنا أي مقول من هذه المقولات (أ – ب – ج) لوجدنا كل منها يطلق عليه الخطاطة الإنعكاسية، فعندما نأخذ على سبيل المثال المقول (أ) نجد فيه: «الشيء موازنا لذاته (أ) توازن (أ) حيث ينقسم الشيء نفسه على قسمين متناظرين يدوران على المحور نفسه، مما يحقق توازن القوى بين قسمي الشيء الواحد، وهذا التوازن المادي يمكن أن يسقط إستعارياً على أكثر المجالات تجريداً»[2].

وكل مقول من هذه المقولات الثلاث مرتبط ببنية تصوريَّة عليا هي: (**فضاء الحمد لله سبحانه وتعالى**)، وهذا ما يجعل التَّوازن حاصل في كل منها، مهما بدلنا في تلك الأبنية الذهنيَّة فستبقى البنية العليا حاضرة (الحَمد)، فيستوجب حضورها في: (**الحمد في السّراء**)، و(**الحمد في الضّراء**) و(**الحمد في الشّدة**) و(**الحمد في الرّخاء**) و(**الحمد في العافية**) و(**الحمد في البلاء**)، وهكذا...، فالحمد هو الفضاء

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، ص١٧٦ – ١٧٧.

(٢) الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفيّة، ص٢٣٧.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الذهني الراجح (الهدف) في هذه المقولة التي إستعادت حضور أفضيّة ذهنية متلازمة في أطر تركيبيّة، ومقاميَّة محكمة في الحوار، فعمل العطف المتمثل بالواو في بنيَّة الحوار على إشراك طرفي العطف بحركة ترابطيَّة لا تختصر على البناء الشّكلي، وإنما دخلت في تعميق المعنى، ورسم ملامحه الإدراكيَّة عند المتلقي؛ لأن الربط لا يقوم فقط على: «علاقة الوصل المنطقية التي تعني الجمع بين العنصرين بل هي تعني تفاعل العنصرين وتجاذبهما وفق علاقة قائمة على الحركة والتغيير المستمر»[١]، فشكل التّرابط الصوري في تقنيّة التّقابل إستراتيجيَّة واضحة، وفاعلة بعدما أنشأ في الذهن أفضية ذهنيَّة حرَّكت التصورات عند المتلقي، وعملت على تقريب عناصر، وتجليات، ومكونات الحمد في الذهن؛ لما تحدثه طريقة التَّقابل من إستعاب للأشياء[٢].

وفي الفقرة الثَّانية من الدُّعاء: «**ولك الحمد على آلائك ونعمائك عليَّ وعندي، وعلى ما أوليتني وأبليتني وعافيتني، ورزقتني وأعطيتني، وفضلتني وشرفتني وكرمتني، وهديتني لدينك حمدا لا يبلغه وصف ولا واصف**» بقي البناء القادح في الكلام (الحمد) مسيطرًا على الأبنية الذهنيَّة، ولكن هذه المرة سِيقَت بطريقة الضمائر المتَّصلة، والرابطة بين: (**المحمود والحامد**) بين (**الله جلَّ جلاله**) و(**الإمام** عليه السلام)، فحققت تلك الطريقة في الرَّبط أبنية ذهنيَّة إدراكيَّة متناغمة بينهما، فوظَّف الضمير المتصل (تاء الفاعل)؛ ليمثل قدرة الله سبحانه وتعالى في مِنَحِهِ: (**النّعمة – الولاء – البلاء – الرزق – العافية – العطاء – الشّرف – الكرامة – الهداية**)، ولكل واحدة من هذه المنح، والعطايا في حوار الإمام الداخلي بُنِي فضاء ذهني متقابل وسَّع من تصورات المتلقي الأفقيَّة، وهذا ما يمنحنا قوة القول أن الإمام عليه السلام وظَّف في أبنيته الذهنيَّة أفضيّة ذات بنية عميقة متناسقة، ومتصاعدة، ومتفاعلة أكدت قدرة الله سبحانه وتعالى، ووجوب الحمد بما أحدثه من حركة ذهنيَّة في تصورات المتلقي.

ويبني الإمام عليه السلام في حكمة من حكَمِه أفضيَّة ذهنية ذات بنيَّة عميقة في قوله: «**من هانت عليه نفسه فلا تأمن**

(١) العمري، منجي، حركية المعنى النحوي مقاربة عرفانية لمقولة الربط، ص٣٨٤.

(٢) ينظر: شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٣٢٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

شرَّه»[١]، هذه الأفضية مبنيَّة على ما يُعرف باللسانيَّات الإدراكيَّة بخطاطة الربَّط (Connectivity Plan)، ويُقصد بها الربَّط المعرفي بين الإدراك الحسّي، والتَّجريد الذهني من جهة، وعلى الرَّبط بين الجانب الصوتي والجانب الدلالي من جهة ثانية، وبه تتم المعالجة الذهنيَّة للمعرفة البشريَّة[٢]، والرَّبط في المقول يقوم بين فضاءين أساسين واقعيين هما :

(أ) – الفضاء الأول الأساس: (الإنسان الذي تهون عليه نفسه)

(ب) فضاء ثان أساس: (إنسان لا يؤمن شره)

هذان الفضاءان يقابلهما فضاءين متخيلين هما :

(أ) – فضاء متخيل أساس: (إنسان لا تهون عليه نفسه)

(ب) – فضاء متخيل أساس (إنسان يؤمن شره).

فنلحظ في المقول فضاء ذهني أساس، وهو: **(فضاء الهوان)** مرتبط بفضاء ذهني أساس ثان (فضاء الشّر)، وكلاهما مرتبط بفضاءين ثانويين، وبرابط (الشَّرط) فالهوان لا يكون إلا عند بعضهم، والشر مرتبط بالأمان الذي لا يتحقق إلا بوجود الفضاء الذهني الأول، وهو بعد تصوري متلازم في المقول، حقق الإدراك والغرض منه بشكل منطقي أساس إذ إرتبط الفضاء في المقول: (أ)، بالفضاء في المقول: (ب)، في الواقع والمتخيل، فكان (ب) مقيَّدا ب (أ) وتابعا له[٣].

وهذا التَّلازم في الرَّبط بين الأفضيّة لم يأت اعتباطاً بل «هنُاك أبعادٌ طَبيعيّة تَتَحَكّمُ في مقولتِنا للأشياء: بُعدٌ إدراكيّ أساسه تصوّر الشّيء بواسطة جهازِنا الحِسيّ، وبُعدٌ وظيفيّ أسَاسه تصورنا لِوَظائِف الشَّيءِ، وبُعدُ غرضِيّ أسَاسُه استخداماتنا المُمكنة للشيء في وضعٍ مُعيّن»[٤]، فأنتج لنا المقول باسلوبه المعروض هذه التصورات المتلازمة، فعزز من قيمة الهدف، والقائمة على نبذ الهوان والذل لنفس مقابل مكاسب مادية أو

(١) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٣٠٢.

(٢) ينظر: أحمد، عطية سليمان، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية – عصبية – عرفانية)، ص٢٩٥.

(٣) الزناد، أزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص١٧.

(٤) جونسون، مارك، لايكوف، جورج، الاستعارات التي نحيا بها، ص١٦٥.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

معنوية زائلة .

الخاتمة ونتائج :

الحمدُ لله الأَول الَّذي لا أَول لأَوليَّته، والآخر الَّذي لا آخر لآخريَّته، الظَّاهر والباطن، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا الصّادق الأَمين وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، بعد هذه القراءة والتحليل لموضوع بحثنا: (الأفضية الذهنيّة في حواريات مسند الإمام الهادي عليه السلام – في ضوء اللسانيات الإدراكيَّة) كانت النتائج الآتية:

في مستوى البنى النصية الصغيرة والكبيرة للمقولات في الحوار الخارجي شاعت خطاطة القوة على بقية الخطاطات؛ ولعل ذلك يعود إلى عمق علوم الإمام عليه السلام، وقدرته على تشخيص الحجة المتداولة الأقوى، والحجة المتداولة الأضعف، وسوقها إلى المخاطبين بطريقة إدراكيَّة مؤثرة.

في مستوى البنى النصيّة الصغيرة والكبيرة للمقولات في الحوار الداخلي شاعت خطاطة التَّوازن بنوعيها (التَّعدية – الانعكاسية)؛ ولعل ذلك يؤكد رؤية الإمام عليه السلام الواضحة للأشياء حضورًا، وغيابًا، فسيقت لنا بتجلياتها المتقابلة في الذهن لتؤكد عمق الأبنية الذهنيَّة ووضوحها .

ما وجدناه في مسند الإمام عليه السلام من أفضيَّة ذهنيَّة يدفعنا لحث الباحثين في الدراسات اللسانيَّة الإدراكيَّة إلى إفراد دراسة مستقلة بهذا العنوان؛ لغزارة بناء تلك الأفضيَّة في النصوص التي وقف عليها البحث .

يعد الحوار منطقة لإبداء الآراء، وهو بذلك متنفس يجد فيه المتكلم إمكانية لقول ما يمكنه قوله بشأن القضايا الدينية والسياسية والإقتصادية، وقد حقق الحوار في مسند الإمام الهادي عليه السلام، وبنوعيه الداخلي، والخارجي مهمته القائمة على أساس تمكين المتلقين من تصورات فكرية وتوجيهية جديدة عملت على تغير كثير من الثوابت الضائعة أو المسوفة عندهم بما أنتجه الإمام من تأثير على المنظومة المعرفيَّة.

كشفت الدراسة أن الإمام عليه السلام في حواره الداخلي وظَّف في أبنيته الذهنيَّة أفضيّة ذات بنية عميقة متناسقة، ومتصاعدة، ومتفاعلة أكدت قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما وجدناه في إنموذج التحليل، وفضاء وجوب الحمد،

بما أحدثه عليه السلام من حركة ذهنيَّة في تصورات المتلقي .

وجدنا في مسند الإمام عليه السلام علاقات كثيرة في (خطاطة الرَّبط) بين المحسوس والمجرد، وهذا الأمر يمكِّننا من القول أن المضامين، والمفاهيم الواردة في الحوار وُضِّعت في قوالب لغوية، ليدركها المتلقي في أي عصر من العصور، فيتحسسها، ويشعر بها على وفق قدراته المعرفية والإدراكيَّة ضمن رؤية ذهنيَّة رمزيَّة، وهذا ما وجدناه في رمزيَّة السيف في كلام الإمام عليه السلام، وهذه النتيجة يمكن أن تتقاسمها المقولات الرفيعة على مر العصور؛ لما تتضمنه من عمق المعاني، ودقة الألفاظ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

١. جونسون، مارك، لايكوف، جورج، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة .

٢. قريرة، توفيق، الاسم الاسمية في اللغة العربية مقاربة عرفانية، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، تحقيق.محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٩م .

٤. ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٦م .

٥. العمري، منجي، حركية المعنى النحوي مقاربة عرفانية لمقولة الربط، دار كنوز المعرفة، عمّان، الاردن، ط١، ٢٠١٩م .

٦. نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقيَّة في اللسانيات التداوليَّة – أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٠م .

٧. التركي، إبراهيم بن منصور، دراسات في البلاغة الإدراكيَّة، نادي القصيم الأدبي، ط١، ٢٠١٩م .

٨. البو عمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، ط١، ٢٠٠٩م.

٩. التميمي، جنان، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكيّة، د.ط، ٢٠١٢م .

١٠. إبراهيم، محمد أبو الفضل، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق دار إحياء الكتب العربية .

١١. دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون ١، ترجمة، سعيد حسين البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م .

١٢. شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا .

١٣. ستيرنين، يوسف، بوفوفا، زينايدا، اللسانيات الادراكيّة، ترجمة: د. نحسين رزاق عزيز، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها بيت الحكمة العراقي، العدد ٤٠، بغداد، ط١، ٢٠١٢م .

١٤. أحمد، عطية سليمان، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية – عصبية – عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ٢٠١٩م .

١٥. حجازي، محمد أحمد، مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام، دار المحجة البيضاء، الأردن، ٢٠٠٦م .

١٦. غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكلياني للنشر، كلية الاداب والفنون والانسانيات بمنوبة، ط١، ٢٠١٠م .

١٧. الحباشة، صابر، مسارات المعرفة والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ٢٠١١م .

١٨. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم، ١٤١٠هـ.

١٩. الزناد، أزهر، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩م .

٢٠. الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، دار نيبور للطباعة

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

والنشر، الديوانية ـ عراق، ط١، ٢٠١٤م.

٢١. دايك، فان، النص والسياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م .

٢٢. أبغش، محمد عبد الودود، نظرية الافضية الذهنية مبادئها تطبيقاتها، النور للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

٢٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف الاشرف، ١٩٤٠، ج٢.

٢٤. الرسائل الجامعية :

٢٥. ابن دحمان، عمر، الإستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة، (أطروحة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو، ٢٠١٢ .

٢٦. النصراوي، جنان تكليف علي، التقابلات الوجدانيّة في القرآن الكريم بين الفضاءات الذهنية ونظريّة الصلة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠٢٠م.

٢٧. عبود، صفية موسى، الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفيّة، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠٢٣م.

٢٨. العارضي، هادي سعدون هنون، مقام المتكلم في القرآن الكريم – دراسة تداوليّة –، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٢٠م.

البحوث والمقالات العلمية :

أنطوفيتش، ميهايو، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ترجمة حليمة أبو الريش، (بحث)، مجلة فصول العدد ١٠٠ .